الأستاذة:سحنون أم الخير

المقياس:سوسيولوجيا الهجرة

السنة:الثالثة علم اجتماع

المحاضرة الأولى:مدخل عام للهجرة

تعريف الهجرة:لغة لقد جاء في لسان العرب ان الهجرة ضد الوصل والهجرة هي الخروج من أرض إلى ارض واصل المهاجرة عند العرب هي خروج البدوي من باديته إلى المدينة.

وهنا نلاحظ أن مفهوم الهجرة ارتبط بالأرض ،إلا أن في الحقيقة يمكن لها أن تتسع لتشمل مفهوما واسعا معنويا فيقال :هجرت الشيء هجرا إذا تركته واغفلته .

وهذا ما نجده في قوله تعالى "ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرة"سورة النساء الآية100.

وفي الحقيقة مصطلح الهجرة نجده يرتبط بمغادرة المكان إلى مكان ابعد فهي مغادرة الشخص إقليم دولته أو إقليم دولة يقيم فيها إلى إقليم دولة أخرى بنية الإقامة في هذه الدولة الأخيرة بصفة دائمة.

وبناءا على هذه التعريفات السابقة فان كلمة هجرة تستعمل للإشارة إلى جميع التحركات المكانية التي ينجم عنها تغيير في مكان الإقامة .

ومن الناحية الديمغرافية فالهجرة هي آخر العوامل الثلاثية "المواليد –الوفيات – الهجرة"والمؤثرة في تغييرات عدد السكان وتوزيعهم ،فهي تعد من وجهة النظر الديمغرافية البحتة اقل أهمية بكثير من المواليد والوفيات في إحداث تغييرات في سكان الدول أو حتى في الأقاليم داخل الدولة الواحدة.

في حين كثيرا ما تصبح الهجرة أهم العوامل الرئيسية الثلاثة المتصلة بتغيرات السكان في جماعة أو مقاطعة أو ولاية معينة(فنزوح السكان من مكان ما وتدفقهم إلى آخر كثيرا ما يكونان أكثر وزنا من أثار التغيرات الأخرى.

أما من الناحية القانونية فان القانون الدولي العام يشير إليها على أنها انتقال الأفراد من دولة إلى دولة أخرى بقصد الإقامة الدائمة فيها .

فهي تتضمن هجرة من الدولة الأصلية واتخاذ الموطن الجديد مقرا وسكنا مستديما.

وتدخل الهجرة في نطاق أحكام القانون الداخلي من ناحية ،فلكل دولة لها الحق في ان تنظم الهجرة من إقليمها واليه وفق ما تقتضيه مصالحها.

والهجرة في حقيقة الأمر دليل قاطع على سوء توزيع السكان على سطح الأرض وهي في نفس الوقت دليل على سوء توزيع الثروات وموارد العيش وبالتالي يكون اتجاه الهجرة (المهاجرين)نحو البلدان الأكثر تنمية حيث تعد هذه الأخيرة عاملا أساسيا في تفسير الهجرة.

ومن الناحية الاجتماعية فان الهجرة هي تغير دائم في مكان الإقامة من بيئة إلى بيئة أخرى بقصد الاستقرار في البيئة الجديدة.

كما يمكن أن تكون هذه الهجرة في نفس الموطن «داخلية"، كما يمكن أن يتحول إلى موطن أخر فتكون "خارجية".

فالهجرة هي حركة الأفراد داخل المجتمع الواحد من بيئة محلية معينة إلى بيئة محلية أخرى أو انتقالهم من مجتمع إلى آخر عبر الحدود السياسية أو الدولية.

بعض المفاهيم المرتبطة بالهجرة :

المهاجر:وهي الصفة اللصيقة بالفرد الذي يقوم بالهجرة فهو ذلك الشخص الذي ينتقل الى بلد ليقيم فيه ويعيش فيه من عمله.

الحراق: الحراق هو شخص قرر الانتقال إلى دولة أخرى بمحض إرادته وبطريقة غير قانونية فهو في معظم حالات الهجرة تكون فيها خطورة كبيرة سواء بعبور البحر أو تجاوز المناطق الحدودية البرية في ظروف صعبة.

الاغتراب: وهو التباعد والنزوح والاختفاء كما يمكن أن يكون حالة شعورية يمر بها الفرد نتيجة تغير المكان الذي يعيش فيه.

المحاضرة الثانية:عوامل الهجرة وأنواعها

الأسباب والعوامل الدافعة للهجرة:

1-العوامل السياسية:

تعتبر العوامل السياسية من أبرز العوامل التي أدت إلى حدوث العديد من الهجرات على مر التاريخ.

ومن الأسباب السياسية القسرية التي تدفع إلى الهجرة ضغط القوة والتهديد والاستيلاء أي أن التدخل العسكري الخارجي من أي دولة من الدول يؤدي إلى هجرة خارجية إضافة إلى الضغط السياسي المحلي يؤدي كذلك إلى الهجرة (النظام الديكتاتوري –الثورات الداخلية – الانقلابات العسكرية –الحروب المحلية .....).

2-العوامل الاقتصادية:

إن العامل الاقتصادي يعتبر من أهم العوامل الطاردة والجاذبة للهجرة، فمن أهم العوامل التي تؤثر في شخص أو أسرة وتدفعها لأن تهاجر هو توقع الحصول على وظيفة أفضل واستهداف زيادة الدخل، وتحسين الرخاء الاجتماعي وذلك بالتحرك من المناطق الأقل دخلا إلى المناطق الأعلى دخلا.

بالإضافة إلى الفقر الشديد والمجاعة وانتشار الأوبئة، انتشار البطالة وانخفاض مستوى المعيشة.

3-العوامل الاجتماعية والنفسية والصحية:

حب المغامرة وتحدي المجهول تحمل في ثناياها دوافع نفسية اجتماعية (حجم الأسرة وموقعها الطبقي، الحالة الاجتماعية والزواجية للمهاجر، سن المهاجر بالإضافة إلى التقليد والمحاكاة....).

وتلعب الأسباب والعوامل الشخصية فعلها هي الأخرى في تسهيل الهجرة أو الحد منها فنظرة الفرد إلى مفهوم التغير وقبوله أو رفضه لما استجد على البيئة الاجتماعية المحيطة به ترجع إلى أسباب شخصية قد تدفع البعض إلى ترك مسقط رأسه والارتحال (الطموح، حب المغامرة....).

كما أن للعوامل الصحية دورا كبيرا في عملية الهجرة، فانتشار الأمراض وسوء التغذية ومشكلات الإسكان تؤثر في عملية الهجرة.

4-العوامل الديمغرافية:

تعتبر من أهم العوامل المحفزة على هجرة السكان، فارتفاع عدد السكان وانخفاض مستوى المعيشة والظروف الاقتصادية السيئة والظروف السياسية غير المستقرة أدى إلى هجرة أعداد كبيرة جدا منها بطرق غير شرعية.

حيث تشكل الفروق الديمغرافية فيما يتعلق بالخصوبة والوفيات والتركيب العمري عاملا مهما في هجرة السكان.

5-العوامل الجغرافية:

إن البيئة القاسية من حيث الحرارة والجفاف والكوارث الطبيعية تشكل مناطق طرد للسكان (الفيضانات والجفاف والبراكين....).

وهذه العوامل لا تقل أهمية عن باقي العوامل الأخرى فهي تلعب دورا هاما في ظاهرة هجرة الأفراد إلى أوطانهم هروبا من الأوضاع القاسية التي يعانون منها.

أنواع الهجرة:

***-الهجرة الداخلية:** هي الهجرة من الريف إلى المدينة أي أنها تتم داخل الدولة الواحدة والتي ينتقل فيها الفرد او الجماعة من منطقة كما اعتادوا على الإقامة فيها إلى منطقة أخرى في نفس الدولة، هذا ويمكننا أن نميز بين عدة أنواع الهجرة:

- الهجرة من الريف إلى الريف
- الهجرة من الحضر إلى الريف
- الهجرة من الحضر إلى الحضر
- الهجرة من الريف إلى الحضر

وتركز الهجرة الداخلية في انتقال السكان من الريف إلى المدينة وجعل عوامل الدفع كقلة فرص العمل

وتخلف الريف والهروب من الوالدين والرغبة في تغير نمط الحياة وعوامل الجذب، وهذا راجع لتوفير فرص العمل بالمدينة بالإضافة إلى الخدمات

***الهجرة الخارجية:**

ـ وهي أن المهاجر الفرد خارج حدود الدولة إلى دولة أخرى، كما ورد مفهوم الهجرة في القران الكريم وفي السنة النبوية الشريفة عندما أوحى الله إلى رسوله الكريم ـ ص ـ بالهجرة من مكة إلى المدينة، وأمره بالرحيل إلى مكان بعيد عن سلطان الظلم والطغيان.

أنواع الهجرة الخارجية:

أ-الهجرة الدائمة: لا تتبعها أية رغبة في العودة الى محل الإقامة الأصلية ثانية إذ يعمد المهاجر إلى ترك منطقة إقامته المعتادة نهائيا والاستقرار في المنطقة أو الدولة المهاجر إليها.

ب-الهجرة المؤقتة: وتعني عملية انتقال الأفراد أو الجماعات من منطقة إلى أخرى أو من بلد إلى بلد آخر انتقالا مؤقتا، ويطلق على هذا النوع اسم المهاجرين العائدين والذين يترددون من حين إلى آخر على موطنهم الأصلي نظرا لارتباطهم بهذا النوع لأسباب اجتماعية واقتصادية .....الخ.

كما تصنف الهجرة من حيث الكم إلى:

***هجرة فردية:** هي النزوح الفردي المؤقت دون اصطحاب الأسرة إلى منطقة العمل، أي هي التي تتحمل الأفراد منفردين قريبا أو بعيدا من أمكنة سكنهم الأصلية وذلك لسبب أو لآخر.

***هجرة أسرية:** وهي عندما يقرر الفرد المهاجر عدم العودة إلى موطنه الأصلي والاستقرار في المهجر فيقرر هنا اصطحاب أسترته إلى بلد المهجر. وتستعمل هذه بلا شك على التخفيف من قسوة الغربة.

***هجرة جماعية:** ويشترك فيها جملة أفراد أو أسر وهي على العموم تنجم عن كارثة طبيعية أو هجرة أبناء منطقة نكبت بالفيضانات أو الزلازل، أو في سبل تحقيق مشروعات اقتصادية وفي بعض الأحيان تنجم عن اعتداء سياسي (الحروب).

ملاحظة: هناك أنواع أخرى من الهجرة مرتبطة بظروف وسبل تحقيقها وأهمها الهجرة غير الشرعية.

المحاضرة الثالثة:نظريات الهجرة

لقد اهتم القائمون بدراسة الهجرة كظاهرة بشرية وسعوا إلى محاولة فهمها وفهم الأسباب والعوامل التي تدفع المهاجرين إلى اتخاذ قرار الهجرة فظهرت هناك العديد من النظريات في هذا الصدد نذكر من أهمها:

1-نظرية الجذب والطرد: أول من وضع فكرة قوى الجذب والطرد هو" **هربرل** " والذي يرى بأن الهجرة هي نتاج مجموعة من عوامل الطرد وعوامل الجذب في مكان الأصل أوفي مكان الوصول.

ولقد لخص " **بوج** " هذه النظرية في شكل نقاط محددة كما يلي:

أ-عوامل الطرد:

- تدهور في بعض الموارد المحلية أو انخفاض أسعارها أو تدهور في حجم الطلب على سلعة أو خدمة ما يعتمد عليها المواطنين كمصدر اقتصادي رئيسي لهم.

-انتشار البطالة بسبب الركود الاقتصادي أو بسبب ميكنة وسائل الإنتاج وعدم الحاجة أو الاستغناء عن الأيدي العاملة.

-قلة أو ندرة فرص الزواج في مكان الأصل.

-الكوارث الطبيعية كالزلازل والفيضانات والأوبئة أو الحروب وعدم الاستقرار السياسي.

-الاغتراب والشعور بالاختلاف والتميز عن بقية أفراد المجتمع أو ثقافته.

ب -عوامل الجذب:

-وجود فرص عمل أفضل في مكان الوصول.

-وجود بيئة مفضلة أو ظروف معيشية أفضل كالسكن أو الخدمات التعليمية والمستشفيات بالإضافة إلى الطقس والمناخ.

-وجود فرص تعليمية أو تكوينية وتدريبية ذات مستوى عالي في مكان الوصول.

- الانتقال بسبب هجرة المعيل (الأب، الزوج، الزوجة .....).

-المغريات والأنشطة التي تقدمها المدينة والتي تشكل سببا يستقطب سكان القرى والأرياف.

ولقد حاول بعض أنصار هذه النظرية أن يدخلوا عليها بعض التطوير من خلال دراسة الهجرة باعتبارها نتاج يأخذ في عين الاعتبار ليس فقط عوامل الطرد والجذب في مكاني الأصل والوصول وإنما يضاف إلى ذلك العوائق الاعتراضية التي يواجهونها المهاجرون، بالإضافة إلى سيمات وخصائص المهاجرين أنفسهم.

2-نظرية اتخاذ القرار:

إن وجود عوامل الطرد والجذب حتى في حالة وجودها بصورة متساوية لأفراد المجتمع، إلا أن مجموعة معينة فقط هي التي تقدم على الهجرة بصفة فعلية دون غيرها، مما يعني أن الهجرة تقوم على قرارات يتخذها الأفراد والجماعات بأنفسهم ولأنفسهم على اعتبار أنها قرارات شخصية.

فهناك أحداث معينة تدفع الفرد الي اتخاذ قرار الهجرة، وغالبا تكون دون وعي كامل منه.

وبالتالي فإن عملية الهجرة هي عملية انتقائية اختيارية، حيث ليس كل الناس يهاجرون وحتى الفروق بين من هاجروا ومن لم يهاجروا ليست جلية واضحة.

- في الأخير تكمن أهمية هذه النظرية في أنها تحول الاهتمام عن مكان المنشأ ومكان المقصد وما يتعلق جو الدراسة في هذه النظرية.

3-نظرية التكلفة والعائد:

تقوم هذه النظرية على أساس أن المهاجر يتخذ قراره بالهجرة على ضوء حساب عقلاني لما ستكلفه هذه الهجرة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وما سيكسبه أو سيخسره فيما بعد.

وفي ضوء حساب الربح والخسارة يكون قراره بالهجرة.

كما يرى بض الباحثين في هذا المجال أن هناك العديد من العوامل التي تحدد عملية التكلفة والعائد من أهمها المسافة بين مكان المقصد ومكان المنشأ، فكلما زادت هذه المسافة كانت التكلفة على المهاجر من الناحية الاقتصادية والاجتماعية والنفسية أعلى.

4-نظرية الجاذبية:

تركز هذه النظرية على عامل المسافة بين مكان المنشأ ومكان المقصد باعتبارها عائقا للهجرة، كما توضح أن من أهم العوامل التي تجعل منطقة ما، أكثر جاذبية من غيرها هو ما يعرف بالفريق المضروب الذي اعتادت عليه إعداد سابقة من المهاجرين من مكان المنشأ.

المحاضرة الرابعة:نماذج تفسيرية للبحث السوسيولوجي في مجال الهجرة.

لقد عرفت ظاهرة الهجرة تناولات عديدة في أزمنة كثيرة، ولقد كانت بداية هذا التناول من منطلق تاريخي وأدبي من خلال كتابات بعض الأدباء والرحالة التي ترجمت إلى قصص وروايات وكتابات أدبية وسير ذاتية.

ولقد بدأ الاهتمام بظاهرة الهجرة من منطلق سوسيولوجي في الآونة الأخيرة (العصر الحديث) ونجد ذلك في النموذج الذي حدده أو طرحه عبد المالك الصياد حيث انتقل من السياق التاريخي إلى وضعها في النموذج السوسيولوجي (سوف نتناول ذلك في المحاضرات اللاحقة)لننطلق من الاتجاهات الكبرى في تفسير الهجرة.

1-الاتجاه الوضعي:(دوركايم)

ينطلق هذا الاتجاه من الفكر الدوركايمي حيث يرى أن الأفراد تتحدد سلوكاتهم تبعا لمتطلبات المجتمع الذي ينتمون إليه من خلال تحديد مكانة وهدف معين داخل هذا النظام الاجتماعي،ويبقون مرتبطين بذلك الوضع الذي حدده المجتمع لهم.

حتى وإن كانت هناك محاولات للتغيير هذا الأخير يكون هدفه البحث عن التوازن والاستقرار عن طريق انتهاج خطط يضعها المجتمع لهم لضمان ذلك.

إن ما يمكن استخلاصه هو أن المجتمع هنا هو العنصر الحاسم والفعال بينما الأفراد هم مجرد أتباع له (ما يمليه عليهم من سلوكات).

وهنا الأفراد يبقون خاضعين بدرجة كبيرة إلى الضغوطات التي يفرضها عليهم المجتمع الذي ينتمون إليه، هذا ما يسمح لهم بالامتثال وعدم الخروج عن التوقعات الاجتماعية.

كما نجد أن دور كايم أعطى للظاهرة الاجتماعية صفة القهر والإلزام مما يجعلها تمارس نوعا من السلطة على الإفراد تجعلهم خاضعين لها وهذا ما ربطه في ظاهرة الهجرة حيث أن هذه الأخيرة في نظره ظاهرة اجتماعية تمثل للأفراد أفعالا امتثلوا لها وينعكس ذلك في سلوكهم وعلاقاتهم داخل المجتمع.

فدوركايم يلغي هنا أهمية الفرد بل اهتمامه على الظاهرة الاجتماعية وما تمارسه كما سبق وأشرنا من ضغط وقهر على الأفراد، وبالتالي فإن فعل الهجرة هو فعل يعيد عن الاختيار بل تفرضه ظروف اجتماعية تجعل من الفرد يخضع لها ويمارس هذا السلوك أو الفعل (الهجرة) مجبرا وليس مخيرا.

2-الاتجاه المادي التاريخي (كارل ماركس):

نجد في هذا الاتجاه تقارب في بعض الأمور بسابقه (الاتجاه الوضعي)الذي يعطي الأولوية للمصلحة العامة (الجماعة)على المصلحة الخاصة(الفرد).

وينطلق هذا الاتجاه في تناوله لظاهرة الهجرة من خلال معادلة الإنتاج والمبنية على التوزيع غير المتكافئ لعوامل ووسائل الإنتاج، حيث نجد أماكن تمتلك وسائل الإنتاج في حين تكون في مناطق أخرى قليلة أو منعدمة وهذا ما يعكس البحث عن فرص للعمل من وإلى هذه المناطق للحصول على ما هو أفضل وأحسن.

وقد أكد ماركس في نظريته (الماركسية)على مفهوم القهر والظلم الذي أصبح يسيطر على المجتمعات في حين أن طبيعتها الأولى عكس ذلك من خلال تحليله للجدلية التاريخية الذي يعكس ويوضح أن الطبيعة الإنسانية هي في الأصل خيرة،لكن طبيعة الظروف الاجتماعية والحياتية جعلت من الأفراد يعرفون ويمارسون القهر والظلم اللذان نلمسهما في المرحلة الرأسمالية (المجتمعات الصناعية).

حيث تمثل تناقضا واضحا مع الطبيعة الإنسانية فهي تنشر الفقر والتوزيع غير العادل للخيرات مما يجعل من ظاهرة الهجرة في منحنى متصاعد وبالتالي تفقد هذه الدول والمجتمعات مواردها وطاقاتها البشرية (المجتمع الأصلي)،في حين تكسب الدول المستقبلة والمستقطبة للهجرة هذه الكفاءات لترفع من قوة الإنتاج وتحطم أي فرص للبحث عن الارتقاء الاجتماعي والاقتصادي بالنسبة للطبقة العاملة المكونة من السكان الأصليين.

إذن الهجرة حسب هذا الاتجاه هي ترجمة للاستغلال الممارس من طرف الدول الصناعية المستقبلة من خلال تحفيز وتشجيع الأفراد على الهجرة من أجل دفع عملية الإنتاج لديها في حين تبقى بقية البلدان (غير الصناعية) تابعة لها.

ومن هنا فإن فعل أوسوسيولوجية من خلال اعتمادها على الشمولية زمانا و مكانا أي نحو مكان معين و لفترات متعاقبة و طويلة (كما يحدث بالنسبة للهجرة من شمال إفريقيا إلى غرب أوروبا).

المحاضرة الخامسة: تابع لنماذج تفسيرية للبحث السوسيولوجي في مجال الهجرة

3-اتجاه رد الفعل:(كوبات ونوفمان)

لقد تأثرت الهجرة بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تحدث على المستوى العالمي ولهذا أثرت بشكل مباشر على ميكانيزماتها وآلياتها ومن ثم أسبابها وعواملها وسبلها.

ومن هذا المنطلق بعدما كانت الهجرة ظاهرة مرتبطة بالجماعة تحولت إلى قرار وسلوك فردي وهذا ما جعل من الهجرة الفردية من الخصائص المعاصرة للظاهرة وقد فرض هذا التحول النسقي البنائي إلى إعادة صياغة طرق جديدة وفعالة للتعامل مع ذلك سواء على المستوى النظري أوالميداني.

حيث طرح نوعا من الصعوبات إذ أن الهجرة الجماعية من مكان إلى مكان اخر تمكن من استنتاج العوامل المتحكمة فيها من خلال إحصاء العوامل المتكررة منها،لكن عندما يتم التطرق إلى الهجرة المتعلقة بالأفراد (الفرد)فنجد عوامل أخرى تختلف عن سابقتها.

ولقد اقترح كل من **كوبات و نوفمان نووتلي** نموذجا مبنيا على الاتجاه الذاتي الذي من خلاله يتم إعطاء تفسير سوسيولوجي لظاهرة الهجرة.

إذ أن تواجد الأفراد داخل المجتمع (الجماعة)تمكنهم من اكتساب قيم وخصائص هذا المجتمع (الجماعة)والتي يفرض عليهم هذا الانتماء الامتثال وتطبيق قيم وضوابط الجماعة ويكون ذلك بما يعرف بالتنشئة الاجتماعية باعتبار هذه الأخيرة عملية أساسية يتم من خلالها غرس ثقافة وقيم الجماعة مما يجعل أفرادها المنتمون لها غير قادرين على مغادرتها (الهجرة)وذلك لارتباطهم وجدانيا واجتماعيا واقتصاديا.

ويؤكد كل منهما (نوفمان وكوبات)أن الهجرة هي مظهر من مظاهر انعدام وضعف الضبط الاجتماعي الذي يمارسه المجتمع على أعضائه.

فهي في نظرهما تعد رد فعل لمقاومة جميع أنواع الضبط الاجتماعي خاصة أنها تتعلق بفئة من سماتها الرفض وحب المغامرة والعصيان(الشباب).

وبالتالي يؤثر ذلك الميل لبعض الأفراد المتميزون بخصائص معينة إلى مغادرة وترك مجتمعاتهم إلى مجتمعات أخرى في نظرهم تقدم لهم فرص أحسن وأرقى من تلك التي كانت متوفرة في مجتمعاتهم السابقة.

وعليه فإنه تم تفسير هذا السلوك (الهجرة)على أنه ضعف أو فشل في عملية التنشئة الاجتماعية وبالتالي انحراف عن مبادئه وقيمه المتحكمة فيه.

4-اتجاه الفعل (ماكس فيبر):

يستمد هذا الاتجاه في تفسير ظاهرة الهجرة سوسيولوجيا انطلاقا من نظرية الفعل لصاحبها ماكس فيبر والتي مفادها أن الفعل الاجتماعي هو كل فعل يبنى بالمعنى المقصود من طرف القائم به (الفاعل)والذي يكون له علاقة وطيدة بسلوكات الآخرين ويكون موجها بذلك أثناء القيام به.

فماكس فيبر هنا تقوم تحليلاته للظواهر الاجتماعية انطلاقا من الفاعل وبالتالي يختزل كل المفاهيم الأخرى مثل الدولة – المجتمع – النظام الاقتصادي.... إلى أفعال الأفراد المشتركين في هذا النشاط.

ولكي يتم الوصول إلى الوصول إلى فهم واستيعاب ظاهرة الهجرة سوسيولوجيا فإنه يجب أن نضع أنفسنا في موضع الشخص المهاجر من أجل القدرة على فهم سلوكاته والدوافع والأسباب وصولا إلى الغايات المرجوة منها.

ماكس فيبر قدم النموذج المثالي والذي استخدمه من أجل فهم وتفسير محفزات ومعوقات الفعل الاجتماعي وهذا مبني على الفهم التفسيري الذي يعد خطوة أساسية التي تمكننا من الوصول إلى وضع علاقات سببية بين الأشياء.

وبالتالي يسمح لنا بفهم المعنى الذاتي لأي نشاط أو فعل يقوم به الفرد والتي تكون في كثير من الأحيان غير معروفة لصاحب الفعل.

تختلف تفسيرات فعل الهجرة تبعا لطبيعة علاقة المهاجر بمنطقته الأصلية أي مكان الانطلاق (ارتباط كلي أو جزئي أو منقطع تماما).

لقد أعطى ماكس فيبر تصنيفات لفعل الهجرة من خلال طبيعة الفعل والتي تمثلت فيما يلي:

فعل وجداني(باطني): ويظهر ذلك من خلال بقاء واستمرار علاقة المهاجر بموطنه ومجتمعه الأصلي من خلال قيامه بزيارات متكررة له.

فعل عقلاني(حسابي): وهو ذلك الفعل الذي يقوم على حسابات ودراسة واقعية لما يجنيه من سلوك الهجرة، حيث يسمح له هذا الأخير بتوفير الإمكانيات التي من خلالها يحقق ذاته والتي كانت غائبة أو منعدمة في مجتمعه الأصلي.

فعل تقليدي (إيثاري): ويتجلى ذلك في أنواع الخدمات التي تفيد مجتمعه الأصلي والتي كان غيابها أو ندرتها سببا في تركه لهذا المجال (تحسين المستوى، جلب التكنولوجيا....).

ولقد أعطى الاتجاه التفسيري عند ماكس فيبر تفسيرات أحاطت وألمت بشكل كبير بظاهرة الهجرة والتي لم تستطع أن تصل إليه الاتجاهات التفسيرية الأخرى، وذلك من خلال اهتمامه بفعل الهجرة في نسقه الممتد والذي أصبح ميزة أساسية تختص بها المجتمعات في وقتنا الحالي.

إذن فعل الهجرة من حيث ديناميكيته لا يتوقف عند عملية الوصول إلى مكان الهجرة، بل يأخذ أشكالا أخرى من التفاعلات بين المجالات من خلال الحضور والغياب والتفاعلات بين المجالات من خلال الحضور والغياب والتفاعلات التي تنشأ بين المهاجرين وبين موطنهم الأصلي وانعكاساته على الأنساق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

المحاضرة السادسة:سوسيولوجية الهجرة في المجتمع الجزائري:

لقد عرف المجتمع الجزائري ظاهرة الهجرة والتي كانت ولا تزال تشكل عاملا هاما في النسق الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع حيث مرت بعدة مراحل تبعا للتحولات التاريخية والاقتصادية التي مرت بها الجزائر واهم هذه المراحل نجد:

1-المرحلة الكولونيالية(الاستعمارية):

من الناحية السيسيولوجيا نجد ظاهرة الهجرة في هذه الفترة ارتبطت بالوجود الاستعماري (الفرنسي)حيث تأثرت بالخطاب بالخطاب الكولونيالي الذي يدعي التحضر والتمدن والتطور من أجل بسط سيطرته السياسية ونفوذه الاقتصادي والاجتماعي على المجتمع الجزائري.

في حين السياسة الواقعية التي اعتمد عليها الاستعمار هي تجويع وتفقير الفرد الجزائري خاصة ذلك المتواجد في المناطق المعزولة والأرياف (والتي تعتبر مصدر اقتصادي هام).

وعلى أساس هذا المنطلق بدأت الهجرة نحو فرنسا (1830-1900) من أجل دفع حركة الاقتصاد الفرنسي مقابل اعتماد سياسة مصادرة الأراضي وترحيل السكان من موطن سكناهم وفرض الجبايات والتجنيد الإجباري.

لكن لم تكن ظاهرة الهجرة آنذاك في اتجاه واحد بل قابلها الاتجاه الأخر من خلال إحضار المواطنين من أوروبا إلى الجزائر ومنحهم امتيازات اقتصاديه وسياسية كبيرة بعدما كانوا مجرد مشردين ومتسولين وحتى مجرمين في بلدانهم الأصلية.

وفي عام 1912تم إصدار مرسوم يسمح للجزائريين بالسفر إلى فرنسا من أجل العمل ولكن هذه العملية تتم وفق تأشيرة فرنسية وتحت وصاية السلطات الفرنسية التي تتولى مهمة الإشراف وتوزيع المهام والأعمال والتي كانت في غالبيتها أعمال شاقة تتطلب جهد عضلي وبدني كبير.

وتعتبر الحرب العالمية الأولى فترة هامة في سوسيولوجية الهجرة في الجزائر حيث تم تهجير عدد هائل من الجزائريين إلى فرنسا وتجنيدهم في الجيش الفرنسي حيث أصدرت مرسوم بتاريخ 1914/07/15 يسمح بتقديم تسهيلات الهجرة للعمال الجزائريين إلى فرنسا، وهذا ما فتح الباب أمام الهجرة النازحة للجزائريين نحو فرنسا حسب ما أكده الدكتور عمار بوحوش.

بنهاية الحرب العالمية الأولى، والتي خلفت دمارا كبيرا وشاملا في المنطقة كان على فرنسا أن تعمل على إعادة إعمار وبناء بلدها، وكان السبيل الأمثل لذلك هو السماح للجزائريين بالهجرة إلى فرنسا والعمل في هذا الميدان من خلال منحهم تسهيلات كبيرة للهجرة.

بينما لم تتخلى فرنسا على سياستها داخل الجزائر والتي تقوم على مبدأ تجريد الجزائريين من أراضيهم وممتلكاتهم والتي اضطرتهم إلى مغادرة مكان إقامتهم بحثا عن الاستقرار الاجتماعي والاقتصادي والذي من خلالها عرفت ظاهرة الهجرة الداخلية منحنى تصاعدي جعل الفرد الجزائري يعيش في تجمعات كولونيالية (الكولون) أو ما يعرف بصاحب العمل يمتثل لأوامره مقابل أجر زهيد بعدما كان هو صاحب العمل والشأن.

وفي ظل الأزمة الاقتصادية التي ضربت العالم (1929)لم تكن الجزائر بعزل عنها حيث قامت السلطات الفرنسية بتسريح العمال وإعادة توجيههم وترحيلهم نحو بلدهم الأصلي (الجزائر) وفرض قيود صارمة على هجرة العمال إلى فرنسا.

أما في ظل الحرب العالمية الثانية والتي كان تأثيرها أكبر وأعمق على فرنسا كبدتها خسائر كبيرة مما جعلها تتخذ إجراءات متمثلة في طرد عدد كبير من الجزائريين من فرنسا (17 ألف عامل جزائري حسب عمار بوحوش). ولكن كان عدد الجزائريين في ذلك الوقت أكبر (حوالي 45ألف جزائري) يعملون في المصانع والمزارع ومجندين في الجيش الفرنسي.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية وظهور ما يعرف بالحركة الوطنية والنضال السياسي والمطالبة بالحريات الفردية والمساواة أصدرت السلطات الفرنسية سنة 1947 نص المادة2 من ميثاق الجزائر ومفادها المساواة التامة بين جميع المواطنين الفرنسيين والجزائريين بإلغاء جميع القوانين الاستثنائية التي تطبق على العمال الجزائريين بصفة عنصرية.

وكان هدف فرنسا من هذا القرار هو تحقيق غايات اقتصادية وسياسية.

وبانطلاق الثورة التحريرية 1954 فان ظاهرة الهجرة إلى فرنسا انخفضت بسبب توجه عدد كبير من الجزائريين إلى المشاركة في الثورة وحمل السلاح ومحاربة الاستعمار بل العكس أصبح عدد كبير يهاجر من فرنسا إلى الجزائر قصد المشاركة في الحرب التحريرية.

2-بعد الاستقلال:

بعد 1962 باستقلال الجزائر عاد أغلب الفرنسيين إلى بلادهم (فرنسا) حيث عرفت الهجرة من الجزائر إلى فرنسا تصعيدا كبيرا وبازدياد هذا لتصاعد أدى بالسلطات الفرنسية إلى اتخاذ القرار بغلق أبوابها في وجه الهجرة الجزائرية باعتبار أغلب مواطنيها الأصليين عادوا إليها.

في حين اعتبرت هذه الفترة في الجزائر من أصعب مراحل الهجرة نحو فرنسا حيث ركزت الحكومة الجزائرية على اعتماد سياسات تنموية مستعجلة وطارئة للنهوض بالمجالات الاقتصادية المحطمة نتيجة الاستعمار.

وفي السبعينيات (1976) بدأت الأزمات والمشكلات الناجمة عن الهجرة الجزائرية نحو فرنسا تزداد تعقيدا من خلال فرض السلطات الفرنسية قوانين غالبيتها يقوم على التمييز العنصري، هدفها الأساسي التقليل من تواجد المهاجرين في اقليمها.حيث اتخذت جملة من القرارات والمراسيم لتكثيف المراقبة على تواجد المهاجرين والأجانب بوضع شروط دقيقة وصارمة للسماح بالهجرة إليها.

مع بداية الثمانينات أصدرت فرنسا لوائح وعقوبات شديدة تجاه المهاجرين غير الشرعيين باعتبارهم مصدر يهدد أمن ومجتمع فرنسا ومقابل ذلك إصدار قرار بالإرجاع الى حدودهم الأصلية بالإضافة إلى تطبيق عقوبات جنائية (السجن).

أما بوصول التسعينيات أصبح الجزائريون يشكلون خطرا حقيقيا على المجتمع الفرنسي في نظر السلطات الفرنسية معلنة العداء الصريح والعلني باعتبارهم يمثلون الفئة الأكبر من المهاجرين الأجانب إذ أصبحوا أكثر عرضة واستهدافا لعمليات وجود الميز العنصري (سوء المعاملة-القتل –الاعتداءات....)

في المقابل كانت الجزائر تعيش أزمة سياسية حقيقية من اللانظام والعنف المسلح هذا ما فتح الباب على مصراعيه لحركات الهجرة داخل المجتمع، حيث هاجر الكثير من الأفراد هروبا من ذلك مطالبين باللجوء السياسي وهجرة كل الهيئات الدبلوماسية والهيئات الدولية الناشطة داخل المجتمع الجزائري. وبالتالي أصبحت الجزائر تشكل بؤرة خوف وهلع وتهديد مما أسفر اتخاذ معظم دول العالم بما فيها فرنسا قرار بغلق حدودها أمام الهجرات القادمة من الجزائر لاعتبارات سياسية وأمنية.

ومع بداية انفراج الأزمة السياسية والأمنية في الجزائر أواخر التسعينيات وبداية الألفية الجديدة برزت مظاهر وميكانيزمات جديدة للهجرة في الجزائر والتي تمثلت في الهجرة غير الشرعية والتي أخذت أبعادا خطيرة .

قائمة المراجع:

1-أحمد الربايعة، دراسات في نظرية الهجرة ومشكلاتها الاجتماعية والثقافية،دار الثقافة والفنون، عمان،1987.

2-كمال فيلالي،سوسيولوجيا الهجرة الجزائرية في تاريخ الماضي والحاضر،مخبر الدراسات الاجتماعية والتاريخية ،جامعة منتوري، قسنطينة،2010.

3-محمد رشيد الفيل ،الهجرة وهجرة الكفاءات العلمية العربية والخبرات الفنية أو النقل التكنولوجي، دار مجدلاوي، الأردن، 2000.

4-مهدي عمر،مطبوعة لمقياس سوسيولوجيا الهجرة،جامعة زيان عاشور،الجلفة، 2018-2019.